تعريف عن الكتب

موريتانيا الحديثة او العرب البيض في افريقيا السوداء

بقلم محمد يوسف مقلد

دار الكتاب اللبناني – بيروت ١٩٦٠ – ٣٨٦ ص

قيمة الكتاب في انه وضع في وقت دخلت فيه موريتانيا عالم الوجود. ففصّل في معلومات شتّى ما اوصله الينا التاريخ العام وادخل اختبارات شخصية تنمّ عن حماس سياسي اكثر منه علمي للدفاع عن استقلال تلك البلاد او ادماجها بالمغرب.

قلم سيّال وروح فيّاضة. كان على المؤلف ان يدع الواحد ويوجّه الاخرى، فكان توصّل الى درس عميق فيه المعلومات الضافية عن البلاد التي يتكلم عليها نقلًا او اختبارًا. ولم يترخّ المؤلف الطريقة العلمية وهو لم يُرد ذلك فاضفى على كتابه مسحة الواقعية وفي هذا نجح.

يرّ المؤلف بالجغرافيا ويتابع سيره في التاريخ وبعد ذلك يستخلص العديد من الملاحظات عن العقلية هناك ويستمرّ، دون مخطط دقيق يتّبعه، في التنقيب فيصل الى تحليل اللغة التي يستعملها الموريتانيّون. وهكذا يعجب القارىء بنفحة فنيّة تمرّ على هذه الصفحات لما وضع فيها المؤلف من حماس ومن ثم ينهض الى تحديد بعض المشاريع السياسية والاقتصادية ليكتمل الصورة التي اراد رسمها لتلك البلاد. ولكن اتكتمل الصورة دون ان يعود المؤلف ويؤكد ان القومية العربية هي التي عليها ان تحتضن بلاد موريتانيا.

هذا بعض ما في الكتاب المتشعّب الطرق انا علينا ان نزيد ان هذا التشعّب توحّده عاطفة المؤلف الجامحة نحو بلاد احبها.

ا. ع. خ

CHARLES MOELLER: *Littérature du XX^e siècle et Christianisme.* I — *Silence de Dieu*, 430 pp. —II-*La foi en Jésus—Christ*, 352 pp. — III — *Espoir des hommes*, 500 pp. — IV — *L'espérance en Dieu notre Père.* — Paris. Casterman, 1959, 1960.

في زحمة الاحداث العالمية وضوضاء الفكر وتخبط انسان اليوم بين طيات المادية ونكران وجود الله تيارات واسعة الارجاء تجمع بين مؤلفين ابوا ان يستيروا في عالم هم فيه ضحيه ووعيه وبين آخرين احبوا المأساة فعاشوها واستسلموا للنتائج ولكنهم في دركات الجحيم الذين ارادوه لهم مسكناً لم يستطيعوا ان يتخلوا عن انسانيتهم بما فيها من توق الى الله وشوق متزايد من خلال اللذة ونشوة النكران .

فها هوذا المؤلف الذي يدين له العالم اليوم بفكرة واسعة وعقل ثاقب احب ان يعير كتابات اولئك وهؤلاء الانتباه الكافي فاستمع الى اقوالهم وكأنها في سرد ما هو بعيد عن الله وعن الحياة الروحية قد نسوا انهم الى المادة يتوقون فتركوا للقلم ان يوصل الينا اسفهم وحزنهم والمهم العميق للابتعاد عن غاية حياتهم واملهم الوحيد .

ففي كتابه الاول على سكوت الله لم يخف المؤلف من ابداء الآراء والاحكام المسيحية على كتاب هذا العصر . والاحكام هذه لا تنم عن قصر نظر بل بعكس ذلك قد تفهم المؤلف ما قرأه وشرع ببضعه يشق طريقه نحو التفسير والحكم . اذ هو لاهوتي واديب اجتمعت فيه صفات هذا وذاك اي صفات القارىء اللبيب الذي يستخلص المقاطع الحاسمة من قرآاته ويجليها بنقد لا يعرف اللذع انما يوقظ عند القارىء الحكيم ذلك الميل للجدل مع المؤلف او مع من يتكلم عليهم . ومن هذا الحوار العقلي ينتج الدور الذي يساعد في اتباع الطريق التي لا تقل وعورة عن اي طريق جديد يفتحها المؤلف بصبر الحكيم وبحبة الكاهن الذي يعلم انه عند الكلام على الآخرين عليه ان يظل كاهناً . فثقافته واسعة وقوة تفهمه الامور عظيمة ولقد اتى في هذا الكتاب الاول على ذكر كامو وجيد وهوكسلي وسيمون ڤايل وگراهام گرين وجوليان گرين وبرنانوس . يذكر منهم مقاطع وكأنه اختار احسن ما في الكتاب وهذه المقاطع تكفينا لتفهم موقف هذا او ذاك .

اما الكتاب الثاني فاتى على درس الايمان وهناك في الاوساط العقلانية مبدأ لا يتجزأ يقضي بتكران الروح او ما يعلو العقل البشري ويسير بالانسان بين ظلمات العقل او تبجحه الى ان يضل به الى هتك الاخلاق والى التدهور الانساني. ولذا فانه يذكر سارتر وما آلى اليه من جحد بوجود الله وكيف توصل الى ذلك من خلال تحليل مفهوم الحرية التي ترضى بالخلق ولا بالله . وذهب بعد ذلك الى الكلام على هنري جامس واظهر ما عنده من حنين الى الكنيسة الكاثوليكية وما هي اليوم قوة الروحيات على عقول المؤلفين الذين لا يكتبون حرفاً دون ان يفكروا بالله او بالشيطان. فالله والشيطان دخلا صفحات الادب المعاصر وهذا ما يدل على ان النفس العصرية حائرة الى ان تثبت في الله . فينتهي المطاف بالمؤلف الى ان يدل على طريق الايمان ، طريق الخلاص. وينتقل بعد ذلك الى درس الكاتب مارتن ده چار ويحدثنا عن مشاكل الايمان وضياعه ، عن الخوف وصلته بالايمان ، عن الموت ومفهومه في المسيحية . ومن خلال هذا الافكار والتحاليل تبدو صورة الكاتب الذي يكلمنا عليه ونصل الى ذلك القول ، قول اللاهوتي البارع ان العودة الى الايمان لن تكون عودة عودة اجزاء الانسان المعروفة عقله او حريته او جسمه. فالعودة تقضي ان يعود الانسان بكامله اذ الايمان خطوة حرّة وان كان نعمة الهية .

ويعود المؤلف فيكلمنا على ما ليج ويغتنم الفرصة السانحة ليحلل ما يقتضيه الايمان من نعمة الهية ومن توق داخلي ومن عناصر خارجية وبراهين تقود العقل رويداً رويداً الى ان يفهم ان هناك عالماً يفوقه وعليه ان يسجد راكعاً بتواضع وانكسار طالباً معونة الله ومساندته . في هذا القسم براعة حقيقية وروح المؤلف في مظهرها الجلي. ففي اسلوب سلس يُدخلنا في اعماق الضمير والوجدان ويقودنا الى الاختبار الذي قام به هو نفسه فنتحسس ما شعر به هو وكأن النفس معه ومع ما ليج تجوب اجواء ابعدتها عن الارض ولكنها انارت سيرها على هذه الارض .

وفي ختام هذا الكتاب الثاني كلمة على مسؤولية المسيحي لو انتبه اليها القارىء وعاد فتبع المؤلف في تحليل تطوير الايمان من الفترة الى الرجولة . وفي كل هذه الصفحات نفحة ايمان تخلف بعدها فرحاً في المؤمن وحنيناً عند الغير المؤمن.

اما في الكتاب الثالث فلقد طرق المؤلف موضوعاً نراه مرسوماً على وجوه الناس الا وهو امل الانسان : الامل الذي يكاد يهجر نفوسهم في عالم طغت فيه المادة وسيطرت على الانسان فصار آلة تستعمل لا تلك الخليقة التي ولاها الله كي تُعطي المخلوقات اسماءها. ولذا ففي هذا الجزء من مجموعة شارل مولر نرى اكثر مما في الجزئين الاولين تفسيراً مسيحياً لنزعات الانسان وفي ذلك ما فيه من مقدرة اللاهوتي وثقابة نظر الاديب فيبنا ما نستطيع ان نستخدمه لتنير الطريق في درس مؤلفي اليوم. اذ ان المؤلف لم يرد ان يكتب كتاباً لاهوتياً ولا كتاباً فلسفياً ولم يرد تأريخ الآداب بالاجمال انما جرّب ان يبينا طريقة تفكير على بعض النصوص التي تميّز روح العصر والتي تصف وصفاً دقيقاً انسان القرن العشرين .

ولقد درس المؤلف في هذا الجزء نفسية مالرو من خلال مؤلفاته. فانه وان يحتذ الفنّ ويرى فيه غاية الحياة فلقد نشعر من خلال السطور والصفحات بتلك الوحدة التي يتخبط فيها بين الايجاب والنفي بين المواقف المتناقضة بين العودة الى الارض والالتصاق بها وبين التوق الى علٍ. فيعود المؤلف ويدرس كفكا وغيره من الكتاب كفرنسواز ساغان او مونيه وعندهم جميعهم يقف وقفة المحبّ الذي يريد ان يجد الانسان فيهم من خلال مواقف تحجرت مرّات ومرّات ضلّ به القلم وارانا من وراء ستار حديدي نور نفس تتألم وان تمرّغت في وحل الرذيلة . ويتخلص المؤلف الى القول بان كل انسان ضعيف وعليه ان يسند ضعفه بقوة الاله المسيح .

اما الجزء الرابع فانه يكلمنا على الرجاء بالله ابينا . يجعلنا فيه المؤلف حيارى بين تيار اوناموني وتيار مرسل وتشعر بجفا الاول وبنضارة الثاني، فننفر من الاول ونُساق وراء الثاني وقد خُلق الانسان للرجاء لا لليأس والقنوط . ولذا فمع دو بوس نسير وراء الرجاء ذاك فيوصلنا الى الله الحي ومع بيجي نرى ان في الرجاء المحبة وهي غاية الانسان القصوى .

***

فبعد هذه الجولة العابرة نشعر بانه ليس من الممكن ان نلخص كتاباً كهذه ملأى دررًا . فللمؤلف الشكر وقد ادخل في النقد الادبي ميزة خاصة الا وهي

تفهم افكار الكتاب والسعي وراء خلاصهم من ربقة المادة وان ارادوا ان يوهموا القارئ بذلك فهم بشر ، وطالما عاش الانسان فمن اعماق الرذيلة يتوق الى فوق ومن اسفل دركات الشر لا يسعى الا الى الله . ولكن على المؤلف اذاك ان يظل واعياً كي لا يترك تفوته تلك الجملة او تلك الكلمة التي تحمل من فم الكاتب ومن قلبه خاصة امل الانسان ونبضات قلبه الذي تراكمت عليه الاغلال دون ان تقتل فيه يد مبدعه وتلك الصرخة اليه التي هي الانسان بالذات .

ا. عبده خليفه اليسوعي

J.-Ch. Didier : *Le Chrétien devant la maladie et la mort.* — Coll. Je sais — Je crois. — Lib. Arthème Fayard — Paris 1960, 124 pp.

في فصول قليلة توصل المؤلف بعلمه وسعة اطلاعه ان يحصر القديم والحديث مما قيل في المرض والموت فاعطانا ضمنة لاهوتيّة قيمة عن السر الذي يحوّل صعوبة الساعات الاخيرة فتصير نيّرة مفيدة ويجعل الموت الذي هو نهاية مسرحية الحياة بدء حياة حقيقية. فالمسيح قد قام وقد خاب الموت في تسلّطه على بني الانسان. فالمعمودية تدخلنا في سر موت وقيامة المسيح الاله وبها تغيّر كل شيء ، حتى موقف المسيحي من الموت ومن المرض . فموت المسيح صار سرًّا ناجعاً ، ولذا فعلينا ان ننظر الى موت ومرض المسيحي بعين المؤمن .

ولقد تتبع المؤلف النصوص الكتابية والتاريخية والطقسية واعطانا حزمة ضمّت ما يهم المؤرخ واللاهوتي فأتى كتابه وافياً دقيقاً .

ا. ع. خ